

التضليل الرقمي والاستقطاب الاجتماعي... معركة الأوطان في زمن الاتصال المفتوح

الأستاذة الدكتورة قطوف سامية

جامعة الجزائر 2

الملخص:

يتناول المقال ظاهرة التضليل الرقمي بوصفها أحد أخطر تحديات عصر الاتصال المفتوح، حيث لم تعد المنصات الرقمية مجرد أدوات تواصل، بل تحولت إلى فضاءات لإعادة تشكيل الوعي وصناعة الاتجاهات. ويبيّن أن التضليل لم يعد مقتصرًا على الأخبار الزائفة، بل أصبح ممارسة ممنهجة تستثمر الخوارزميات والاستهداف الدقيق للتأثير في الرأي العام وتعميق الانقسامات، ويربط المقال بين التضليل الرقمي وتصاعد الاستقطاب الاجتماعي، إذ تُغذّي البيئات الرقمية المغلقة التحيزات وتعزز الانقسام الهوياتي والسياسي، مما يضعف الثقة في المؤسسات ويهدد التماسك المجتمعي.

فالمعركة اليوم ليست عسكرية بقدر ما هي معركة على الوعي والمرجعيات القيمية، ويخلص المقال إلى أن حماية الأوطان في زمن الاتصال المفتوح تقتضي بناء وعي نقدي، وتعزيز التربية الرقمية، وترسيخ القيم الأخلاقية، إلى جانب تطوير سياسات إعلامية متوازنة تحمي المجتمع من التلاعب المعلوماتي دون المساس بحرية التعبير.

الكلمات المفتاحية: التضليل الرقمي، الاستقطاب الاجتماعي، الاتصال المفتوح، الخوارزميات الرقمية، فقاعات الترشيح، سرديات رقمية

Abstract:

This article examines digital disinformation as one of the most critical challenges of the era of open communication. Digital platforms are no longer merely tools for interaction; they have become powerful environments for shaping public consciousness and constructing social and political orientations. The paper argues that disinformation extends beyond the circulation of false news, evolving into systematic practices that exploit algorithms and targeted communication strategies to influence public opinion and deepen societal divisions.

The article further explores the link between digital disinformation and rising social polarization. Closed digital ecosystems tend to reinforce cognitive biases and intensify identity-based and political fragmentation, thereby eroding trust in institutions and undermining social cohesion. In this context, contemporary conflicts are less military than cognitive, revolving around control over narratives, values, and collective perception.

The study concludes that safeguarding nations in the age of open communication requires strengthening critical awareness, promoting digital literacy, consolidating ethical values, and developing balanced media policies that protect society from informational manipulation while preserving freedom of expression.

Keywords: Digital disinformation, social polarization, open communication, digital algorithms, filter bubbles, digital narratives.

المؤلف المرسل الدكتورة قطوف سامية

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولا جذريا في بنية الاتصال الإنساني بفعل الانفتاح الرقمي وتوسع الفضاءات الافتراضية، حيث لم تعد الحدود التقليدية للمعلومة قائمة، ولم يعد التحكم في تدفقها ممكنا بالآليات الكلاسيكية. وفي سياق هذا التحول العميق، برزت ظاهرتان مركزتان تعيدان تشكيل الرأي العام وتوجهان ديناميات المجتمع والدولة: التضليل الرقمي والاستقطاب الاجتماعي. فهاتان الظاهرتان، وإن بدتا في ظاهرهما مجرد امتداد للتفاعل اليومي عبر المنصات الرقمية، إلا أنهما في العمق معركة صامتة تخاض على الوعي الجمعي، وفي كثير من الأحيان دون أن يشعر بها الأفراد.

لقد صار التضليل الرقمي سلاحا معلوما في هندسة الإدراك وإعادة إنتاج الواقع وفق مصالح الفاعلين، سواء كانوا أفراد في جماعات منظمة أو قوى ذات امتدادات جيوسياسية. أما الاستقطاب الجماعي فبات نتيجة مباشرة لهذا التضليل، يحول المجتمع إلى فضاءات متنافسة، تعيد صياغة الانتماءات والولاءات وتقوض أسس اللحمة الوطنية التي تعد الدعامة الأساسية لاستقرار الدولة. وهكذا أصبح الفضاء الرقمي ساحة تقاطع فيها رهانات الأمن الاجتماعي والسيادة الوطنية، بما يجعل مواجهة التضليل والاستقطاب قضية أمن وطني بامتياز، لا مجرد إشكال اتصالي.

وفي زمن الاتصال المفتوح، حيث تتداخل الحقيقة بالزيف، ويتراجع الوسيط التقليدي أمام انفجار المحتوى الرقمي، تواجه الأوطان تحديا مركزيا يتمثل في كيفية حماية وعي مواطنيها، وصون تماسكهم، وبناء قدرة مجتمعية مستدامة على التمييز بين المعلومات الموثوقة وتلك المصممة لإثارة الانقسام. ومن هنا تأتي أهمية هذا المقال، الذي يسعى إلى تقديم قراءة سوسيولوجية وجيوسياسية معمقة لهذه الإشكاليات، من خلال تحليل آليات التضليل، وفهم منطق الاستقطاب، وتبيان أثرهما على استقرار الدولة ووحدة المجتمع في ظل التحولات الاتصالية الراهنة.

1. التحولات الرقمية واعاده تشكيل المشهد الاجتماعي:

شهد العالم في العقود الأخيرة تحولات رقمية عميقة أثرت بوضوح في البنى الاجتماعية، حتى لم يعد التحول الرقمي قاصرا على الجانب التكنولوجي وحده، بل امتد ليشمل تغيير القيم والسلوكيات والنمط التفاعلي الاجتماعي بين الأفراد والجماعات هذه التحولات لم تعد ظاهرة جزئية في الحياة اليومية، بل أصبحت عاملا مركزيا في إعادة تشكيل المشهد الاجتماعي بأبعاده الثقافية والسياسية والاقتصادية.

يمكن تعريف التحول الرقمي على أنه عملية دمج التكنولوجيا الرقمية في جميع مجالات الحياة، مما يؤدي إلى تغييرات جوهرية في كيفية تفاعل الأفراد والمؤسسات داخل المجتمع. إذ أضحت التكنولوجيا في عصرنا الراهن عنصرا بنويا لا غنى عنه، فهي لم تعد مجرد أدوات مساعدة بل تحولت إلى إطار شامل لتشكيل أنماط العيش والتفكير والتواصل والعمل، حيث "يشير البحث العلمي إلى أن الاعلام الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي تعمل على تسهيل تدفق المعلومات ونقلها بشكل فوري بين مستخدمي الشبكات الرقمية، مما يعزز من قدرة الأفراد على التعبير عن آرائهم والمشاركة في النقاشات العامة خارج القنوات التقليدية للإعلام وهو ما يجعلهم شركاء في إنتاج المحتوى وصياغة الرأي العام، بدرجة لم تكن ممكنة من قبل باستخدام الاعلام التقليدي." (الحازمي محمد 2021 صفحہ 58).

وبهذا الشكل أصبح التحول الرقمي يسهم في إعادة تشكيل المشهد الاجتماعي من خلال التأثير العميق في منظومة القيم والمهارات الاجتماعية، وينتج ديناميكيات جديدة في العلاقات، وقد لوحظ في دراسة حول التنشئة الرقمية أن "وسائل الإعلام الرقمي تغير من القيم الاجتماعية التقليدية وتساهم في بلورة مهارات اجتماعية جديدة تتطلب التكيف مع بيئة تكنولوجية سريعة التغير التنشئة الرقمية: نحو فهم تأثير تحول الرقمي على القيم والمهارات." (عبد الحق الشاذلي، صفح 82).

لذا أصبحت وسائل وتكنولوجيات الاتصال الحديثة فضاءات رقمية قائمة بذاتها، تمتلك جمهورا واسعا له آليات خاصة للتفاعل والتعبير والمشاركة. كما يطور هذا الجمهور استراتيجيات وخطط للتأثير والحضور الرقمي، مما يحول هذه الفضاءات إلى ساحة فاعلة لإنتاج المعاني وتوجيه الرأي العام وصياغة التفاعلات الاجتماعية. وهذا ما تؤكد (Gas) عندما تقول بأن: "وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت فضاءات عامة رقمية يمكن للمواطنين من خلالها تنظيم أنفسهم والمطالبة بالتغيير الاجتماعي والسياسي، مع التأكيد على هشاشة هذه الشبكات في مواجهة القيود التنظيمية والسياسية." Tufekci, Zeynep, Twitter and Tear Gas : The Power and Fragility of Networked Protest , P. 52.

وتجدر الإشارة أيضا ان الثورة الرقمية لا تقتصر على الجانب التكنولوجي فحسب، بل تمتد إلى تشكيل التمثلات الذهنية لدى الأفراد اتجاه التقنيات الحديثة والذكاء الاصطناعي، مؤثرة بذلك على السلوك الاجتماعي والثقافة العامة للمجتمع "مراد غسان، مزايا التحولات الرقمية والتمثلات الذهنية للذكاء الاصطناعي". صفح 45.

إجمالاً فإن التحولات الرقمية تمثل نقطة تحول رئيسية في تاريخ المجتمع الحديث، إذ لم تعد التكنولوجيا آداة مساعدة فحسب، بل أصبحت عاملا يشكل الهوية الاجتماعية وطرائق التفاعل بين الأفراد داخل المجتمع. ومن هنا تنبع أهمية دراسة هذه الظاهرة ليس فقط من منظور تقني، بل أيضا من منظور اجتماعي ثقافي لفهم تأثيراتها المتشابكة على المشهد الاجتماعي ككل.

2. التضليل الرقمي، آليات التأثير وصناعة الوعي الزائف:

شهد الفضاء الرقمي تحولات نوعية خلال العقدين الآخرين، إذ أصبح الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي منصة رئيسية لتداول المعلومات وبناء الرأي العام ومع هذه التطورات برز التضليل الرقمي كأحد أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة ليس فقط باعتباره خطأ معلوماتيا أو نقصا في التحقق بل كأداة استراتيجية لإعادة تشكيل المعرفة والوعي الاجتماعي والسياسي وفقا لأهداف محددة مما يستدعي تحليل آلياته خصائصه وتأثيراته على المجتمعات الحديثة.

2-1- التضليل الرقمي تعريفه وطبيعته:

يشكل التضليل الرقمي أحد أبرز التحديات المعاصرة إذ يتجاوز مجرد نشر معلومات خاطئة حيث يصبح أداة لإعادة تشكيل المعرفة والوعي الاجتماعي والسياسي، فـ"التضليل الرقمي هو نشر معلومات مضللة أو خاطئة بشكل مقصود بهدف التأثير في سلوك أو موقف الجمهور مستفيدا من خصائص البيئة الرقمية مثل السرعة والتفاعلية وضعف آليات التحقق، ويختلف عن الخطأ المعلوماتي العفوي لأنه قائم على انتقاء الرسائل وتكرارها وتوظيف وسائل جذابة للتأثير". (ابراهيم عزيز، 2015، ص. 32).

ويشير هذا التعريف إلى أن التضليل الرقمي يتجاوز كونه قضية إعلامية، ليصبح ظاهرة اجتماعية وسياسية تؤثر في صياغة الرأي العام، وتعزز قدرة الرسائل المظلمة على الانتشار والتحكم في الخطاب الاجتماعي، كما يبرز هذا التعريف أيضا خطورة التضليل الرقمي بوصفه ممارسة واعية تهدف إلى توجيه الإدراك العام والتلاعب بالوعي الجماعي عبر أدوات رقمية تبدو في ظاهرها محايدة لا تكمن فقط في زيف المحتوى، بل في سرعة انتشاره وقدرته على بناء تصورات خاطئة تؤثر في السلوك الاجتماعي. ويكشف ذلك عن تحول الفضاء الرقمي الى مجال للصراع الرمزي تستثمر فيه المعلومات كوسيلة للهيمنة والتأثير.

2-2- آليات التضليل الرقمي:

1- إعادة توجيه المحتوى والمعلومات:

واحدة من أبرز آليات التضليل الرقمي هي تلاعب المحتوى والمعلومات والتي تشمل اجتزاء الوقائع، إعادة تأطيرها لغويا ودلاليا واستخدام الصور والفيديوهات المفبركة لتعزيز مصداقية الرسالة المضللة، حيث "يتم اجتزاء الوقائع من سياقها، أو إعادة تأطيرها لغويا ودلاليا مما يخدم رسالة محددة مع استخدام صور وفيديوهات مفبركة لإضفاء طابع واقعي مزيف يسهل تداوله وانتشاره." (تيسير ابو عرجه، 2025، ص 45).

ويظهر من هذا التوصيف أن تلاعب المحتوى والمعلومات لم يعد ممارسة هامشية بل أصبح آلية مركزية في توجيه المعاني وصناعة التصورات داخل الفضاء الرقمي، حيث تمكن هذه الآلية من بناء سرديات مصطنعة تعزز قبول المعلومات المغلوطة، وتعد أداة فعالة لإعادة تشكيل وعي الأفراد ومواقفهم الاجتماعية والسياسية.

ب - الخوارزميات وفقاعات الترشيح:

تعد الخوارزميات وفقاعات الترشيح من أبرز الخصائص التقنية للبيئة الرقمية التي تؤثر في استهلاك المعلومات وتوجيه الرأي العام. "وتعرف الخوارزميات على أنها مجموعة من القواعد والحسابات الحاسوبية التي تحدد المحتوى المعروض للمستخدمين وترتيبه، وتكرر ظهوره، وتقوم هذه الخوارزميات بتحليل سلوك المستخدم، وتفضيلاته، وتفاعلاته لتخصيص عرض المحتوى بهدف تعزيز المشاركة وزيادة الوقت المقضي على المنصة". (RiKet MarcK. 2021.p87).

وعليه سنختار الخوارزميات بشكل خفي المحتوى الذي سيكون مرئيا وقابلا للاستهلاك والمتابعة وتكون له علاقة بمختلف النصوص والمقالات التي نقرأها ومقاطع الفيديو التي نشاهدها والمواقع الإلكترونية التي نزورها، وهنا يظهر مفهوم "خوارزميات التوصية" كآلية تظفي طابعا إيديولوجيا على تجربتنا في الفضاء الرقمي؛ إن مثل هذه الاستراتيجيات التي تقود الى العزلة والتلاعب بالجانب الذهني لنشر معلومات مضللة أو دعائية، لها عواقب وخيمة على الرأي العام وأنظمة تفكير الفرد والمجتمع وعلى الاحتياجات المعرفية والسياسية.

وفي امتداد لهذه الفكرة، "تعمل خوارزمية التوصية كعامل محفز للمستهلك لمشاركة المحتوى حتى دون التأكد من صحته، ذلك أن الأشخاص الذين لديهم نفس المعتقد أو ينتمون لنفس الحزب السياسي سينشرون ويتبادلون المعلومات التي تعرب عن تطلعاتهم السياسية دون التحقق من صحتها، وفي هذه الحالة فإن الأشخاص ليس لديهم القدرة الكافية على اكتشاف ما هو حقيقي وما هو زائف" (سفيان تومي ورابع ذياب، 2022، ص 601).

فالخوارزميات إذن هي مجموعات من التعليمات البرمجية التي تحدد المحتوى الذي يعرض للمستخدم استنادا الى تفضيلاته السابقة وسلوكه الرقمي. أما فقاعات الترشيح، فهي بيئات معرفية مخصصة، ينتج عنها عزلة معرفية للمستخدمين حيث يعرض لهم محتوى يتوافق مع ميولهم فقط مما يقلل من تعرضهم للآراء المعارضة ويعزز من تصديق المعلومات التي يتلقونها.

وحسب تعريف باريزر فإن "الفقاعة المعلوماتية تخلق عالما معرفيا فريدا لكل مستخدم، مخصصا بواسطة الخوارزميات التي تعطي الأولوية للمحتوى الذي تعتقد أنه يود مشاهدته، مما يقيد الافراد داخل فقاعاتهم المعرفية، ويحد من تعرضهم لوجهات نظر مختلفة". (Eli Pariser, 2011 p15).

يتضح من هذا أن فقاعات الترشيح تمثل أحد أخطر تحديات الخوارزميات الرقمية، إذ تحاصر الأفراد داخل دوائر معرفية مغلقة تغزو الفقاعات المسبقة وتحد من الانفتاح على الرأي المختلف، وهذا يوضح كيف تعمل أنظمته التخصيص الرقمية على تشكيل بيئة معرفية محدودة لكل مستخدم مما يعزز من فعالية التضليل الرقمي ويحد من التفاعل مع المعلومات المخالفة، ويخلق استقطابا معرفيا واجتماعيا ضمن الفضاء الرقمي، والحقيقة أن "خوارزميات منصات التواصل الاجتماعي تساهم بهذا الشكل في تعزيز التضليل من خلال عرض المحتوى المتوافق مع ميول المستخدم، ما يخلق "فقاعات وعي" تمنع التعرض للرأي المخالف وتعزز تصديق المعلومات الزائفة". (Olivier Favry , 2025,p88)، ويؤدي ذلك طبعا إلى تشويه إدراك الواقع وتحويل الفضاء الرقمي الى بيئات متوازنة منفصلة، ما يفرض ضرورة تعزيز التفكير النقدي والوعي الاعلامي لمواجهة آثارها.

ج - الاستشارة العاطفية:

تعتمد فعالية التضليل الرقمي على استشارة الانفعالات، إذ أن المحتوى العاطفي المشحون بالغضب أو الخوف يحقق انتشارا وتأثيرا أكبر مقارنة بالمحتوى العقلاني، و"يعتمد التضليل الرقمي على مخاطبة الخوف والغضب والانفعال، فالمحتوى المشحون عاطفيا أكثر قابلية للتصديق والمشاركة من المحتوى العقلاني المتوازن مما يزيد من فعالية الحملات التضليلية". (Stephane Foucart , 2020 , p101).

تسهم هذه الآلية في بناء وعي زائف قائم على الانفعالات، يقلل من التفكير النقدي ويزيد من قابلية الجمهور لتصديق الرسائل المغلوطة، مما يسمح باستغلالها سياسيا واجتماعيا، حيث تستغل الخوارزميات لرفع المحتوى الأكثر إثارة لما يحمله من قابلية عالية للتفاعل، وهذا ما يحول المشاعر الى رأس مال رقمي يوظف في التسويق والتعبئة، والتوجيه الرمزي مما يجعل الفضاء الرقمي مجالا تتحكم فيه ديناميكيات الانفعال أكثر من منطق الحجاج العقلاني.

د-توظيف الشخصيات العامة والمؤثرين:

تلعب الشخصيات العامة والمؤثرون دورا مهما في إضفاء مصداقية على التضليل الرقمي، إذ ينظر الى المعلومات التي يروجون لها على أنها صحيحة تلقائيا، أين يتم استخدام شخصيات عامة أو حسابات موثوقة اجتماعيا لترويج المعلومات المضللة، مما يمنحها شرعية ظاهرية ويصعب على الجمهور التشكيك في صحتها. (ابراهيم عزيز، 2015، ص57).

ولا نبالغ إذ قلنا أن توظيف الشخصيات العامة والمؤثرين في الفضاء الرقمي يعد آلية فعالة في ترسيخ التضليل، إذ تستثمر مكانتهم الرمزية وثقة الجمهور بهم لتمرير معلومات أو مواقف قد تفتقر إلى الدقة أو الموضوعية، لأن المتلقي لا يتفاعل مع المعلومة بقدر ما يتفاعل مع مصدره أو يعكس هذا الاستخدام كيف يمكن للتضليل الرقمي الاستفادة من الرموز الاجتماعية لبناء ثقة زائفة لدى الجمهور، وتعزيز قدرته على التأثير في المواقف الاجتماعية والسياسية بشكل سريع وفعال.

2-3-صناعه الوعي الزائف والأثار الاجتماعية:

كيف يصنع الوعي الزائف في الفضاء الرقمي، وما أثره على البنية الاجتماعية؟

"التضليل الرقمي مجرد تشويه للحقائق ليعيد تشكيل القنوات والمواقف، حيث يعتقد الأفراد أنهم يمتلكون معرفه صحيحة بينما هم في واقع الأمر أسرى سرديات مصطنعة." (تيسير ابو عرجه، 2025، ص60).

إن المتلقيين إذن في سياق التضليل الرقمي لا يكتفون باستهلاك المحتوى، بل يتحولون تدريجيا الى أسرى لسرديات مصطنعة تعاد صياغتها وتكرارها بشكل ممنهج، ومع الزمن تقدم هذه السرديات كبدايل للواقع، فتقيد أفق الفهم وتوجه التأويلات، مما يفقد الفرد قدرته على التمييز النقدي ويجعله منخرطا في تمثيلات جماعية موجهة تتحكم في مواقفه وسلوكياته الاجتماعية. وتترتب على ذلك آثار اجتماعية وثقافية واسعة، أبرزها "تآكل الثقة في المؤسسات الإعلامية والسياسية، وتعميق الاستقطاب الاجتماعي، وضعف المشاركة الواعية في الشأن العام. كما يخلق حالة ارتباك معرفي تجعل الأفراد عاجزين على التمييز بين الحقيقة والزيف" (Olivier Favry , 2025, p102).

وعليه، يمثل التضليل الرقمي وصناعة الوعي الزائف تحديا مركبا يستدعي دراسة معمقة لإبعاده الاجتماعية الثقافية والسياسية. إن تعزيز الوعي النقدي والقدرة على التحليل المعلومات يصبح أمرا جوهريا، إلى جانب تطوير سياسات تنظيمية وإعلامية تحمي المجتمعات من الانقسام والاستقطاب الناتج عن انتشار المعلومات المغلوطة.

3 - الاستقطاب الاجتماعي في الفضاء الرقمي... مقاربه سوسيولوجية اتصالية:

يعد الاستقطاب الاجتماعي من أبرز الظواهر اللافتة التي أفرزها التفاعل الرقمي في سياق التحولات العميقة التي أحدثتها تكنولوجيات الاتصال الحديثة. فقد أسهمت هذه الفضاءات الرقمية في إعادة تشكيل أنماط التفاعل الاجتماعي، بحيث تحول الاختلاف الطبيعي في الآراء إلى حالة من الاستقطاب الحاد تغذيها الخوارزميات ومنطق الانتشار السريع للمضامين. ولم يعد هذا الاستقطاب مجرد انعكاس الخلافات اجتماعية قائمة، بل عدا ظاهرة بنيوية تؤثر في الوعي الجماعي وتعيد رسم الحدود والانتماء والتوافق داخل المجتمع. ومن هنا تبرز الحاجة إلى مقارنته باعتباره اشكالية مركزية لفهم تحولات الفضاء الاجتماعي المعاصر.

- ما هو الاستقطاب الاجتماعي؟

"يشير الاستقطاب الاجتماعي الى الظاهرة التي تميل فيها مجموعات بعد النقاش والتفاعل الداخلي، الى تبني مواقف أكثر تطرفا ما كانت عليه مواقف أفرادها قبل الدخول في النقاش الجماعي." (Sunstein, 2009, p2).

وفي هذا السياق، يصبح الاتصال الرقمي ليس مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل أداة لإعادة تشكيل للبنية الاجتماعية، ويعمل كحاجز رمزي بين المجموعات، على أن هذه العلمية لا تتم عبر صدام مباشر أو اعلان صريح للانقسام، بل من خلال آليات خفية ومستمرة، مثل الخوارزميات الرقمية، نشر المحتوى الانتقائي، وتصنيف المستخدمين وفقا لميولهم واهتماماتهم. ويظهر هذا الاستقطاب "الصامت" في تغيرات سلوكية تدريجية، من قبيل تقليل تعرض الأفراد للآراء المخالفة، وتعزيز الانتماء للمجموعة، وتكريس الصور النمطية، دون وعي المشاركين بأنهم جزء من عملية انقسامية. وبعبارة أخرى، يحدث الانقسام الاجتماعي عبر التحكم في تدفق المعلومات والتفاعل الرقمي، لا من خلال نزاع مباشر أو اعلان رسمي.

وضمن هذا المنظور، يتقاطع الاستقطاب الاجتماعي مع ظاهرة التضليل الرقمي التي أضحت أداة فعالة في هندسة الإدراك وإعادة إنتاج الواقع وفق مصالح فاعلين مختلفين. إذ أن "التضليل هو اقتحام عقل شخص ما بتقديم رأي أو إثارة سلوك دون أن يدري هذا الشخص أنه قد حدث له اقتحام" (غالي ومغربي. 2020. ص 223).

ويعزز هذا المسار الانقسامات داخل المجتمع من خلال توجيه الرأي العام وإعادة ترتيب الأولويات والتمثيلات الاجتماعية، ومن هنا تبرز أهمية الوعي الفردي والجماعي بوصفه آلية مضادة لتأثيرات التضليل والاستقطاب، حيث يتطلب الأمر امتلاك قدرة نقدية تمكن الأفراد من التمييز بين الحقيقة والزيف، بما يجد من قابلية الرأي العام للتوجيه والتلاعب.

" ومن أجل تحقيق الهيمنة الناعمة يتم انتاج وتداول خطاب جذاب شكلا وموضوعا، ليكون قادرا على تزيف الواقع والتلاعب بالعقول دون أن يدرك الجمهور ذلك، وبحيث يتابع الخطاب الإعلامي المهتمين بإرادته الحرة، ويتعود على استهلاك هذا الخطاب بشكل يومي ويفرض أو يقاوم خطابات مغايرة" (محمد شومان. 2016. ص 34).

وهو ما يستدعي القول أن الفضاء الرقمي لم يعد مجرد وسيط تقني محايد، بل تحول الى مجال استراتيجي تتداخل فيه رهانات السلطة والتأثير، سواء على المستوى الاجتماعي أو الجيوسياسي. فالفضاء الرقمي أصبح "ساحة استراتيجية تتقاطع فيها رهانات الأمن الاجتماعي والسيادة الوطنية، ويصبح التعامل معها قضية أمنية بامتياز وهو ما ينسجم مع الطرح الذي يرى في التحول الرقمي مصدرا جديدا لأنماط القوة والنفوذ غير تقليدية." (La société de l'information et la gouvernance, 2019, p. 132)، حيث أصبحت التحولات الرقمية، في أفقها العميق مصدرا جديدا لإنتاج أنماط قوة ونفوذ غير تقليدية، تجاوزت الأشكال الكلاسيكية المرتبطة بالسلطة السياسية أو الاقتصادية الصرفة، ففي هذا المعنى، لم يعد النفوذ حكرا على امتلاك الموارد المادية، بقدر ما بات مشروطا بالقدرة على التحكم في تدفقات البيانات، وتوجيه الخوارزميات، وصناعة التأثير الرمزي عبر الفضاءات الرقمية.

ويتعزز هذا الوضع من خلال التفاعل المستمر مع محتوى متحيز، حيث يؤدي التفاعل المستمر في الفضاء الرقمي مع محتوى متحيز الى تعزيز الانقسامات وتكوين فقاعات معلوماتية يواجه فيها الافراد محتوى يتوافق فقط مع معتقداتهم السابقة. وتسهم هذه الفقاعات في تعميق القطيعة الرمزية بين الفاعلين الاجتماعيين، وتحد من إمكانيات الحوار والتوافق داخل الفضاء العمومي، وهو ما يفضي إلى إعادة تشكيل موازين القوة، حيث تبرز فواعل جديدة: شركات تكنولوجيا، منصات رقمية، وحتى أفراد، قادرة على التأثير في الرأي العام وصنع القرار بوسائل غير مباشرة. وضمن النسق، يتبدى أن القوة الرقمية تعمل بمنطق ناعم، يتخفى خلف أدوات تقنية محايدة ظاهريا، لكنها فاعلة استراتيجيا.

وعليه، فإن مواجهة الاستقطاب الاجتماعي في الفضاء الرقمي لا يمكن ان تقتصر على مراقبة المحتوى او ضبطه تقنيا فحسب، بل تستلزم مقاربة شمولية تقوم على التربية الإعلامية، وتعزيز التفكير النقدي، وبناء وعي مجتمعي قادر على تفكيك آليات التظليل ومقاومة منطق الانقسام. فكما يؤكد cardan فان "التحول الرقمي ليس مجرد تطوير تقني، بل هو تحول ثقافي ومعرفي يدخل في كل جوانب حياتنا ويعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية القيم والمعلومات في المجتمع." (cardan, 2019, pp7-8)، ويصبح بهذا الشكل تحولا بنويا في طبيعة النفوذ ذاته. وعليه يمكن القول إننا إزاء مشهد جديد للقوة، يتأسس على المعرفة والاتصال والسرعة، أكثر مما يقوم على الإكراه أو السيطرة التقليدية.

3-1- الفضاء الرقمي كأداة للنفوذ الجيوسياسي:

1- الفضاء الرقمي وتحول مفهوم القوة في العلاقات الدولية:

لم يعد النفوذ الجيوسياسي في العصر الرقمي مرتبطا بالقوة العسكرية والاقتصادية وحدها، بل أصبح مرتبطا بشكل متزايد بالقدرة على التحكم في المعلومات وتوجيه تدفقها والتأثير في الإدراك الجماعي. فقد أدى التحول الرقمي إلى إعادة تعريف مفهوم القوة، بحيث اضحى الفضاء الرقمي مجالا استراتيجيا لممارسة النفوذ غير المباشر خاصة عبر التأثير في الرأي العام وصناعة التمثلات السياسية والاجتماعية.

ويؤكد (جوزيف ناي) هذا التحول بقوله: "القوة في عالم اليوم لا تكمن فقط في اجبار الآخرين، بل في القدرة على التأثير في تفضيلاتهم وصياغة تصوراتهم للواقع" (Nye, 2011, p. 62).

وضمن هذه القراءة، يغدو الفضاء الرقمي مجالا أيضا لإعادة تشكيل الأذواق والاختيارات الفردية ضمن منطق خوارزمي دقيق، يوجه الانتباه ويعيد ترتيب الأولويات دون وعي صريح من المتلقي بشكل يعيد تغيير العلاقة بين الفرد والقرار في العصر الرقمي.

ب- السيطرة على المعلومات كمدخل للنفوذ الجيوسياسي:

أصبح التحكم في تدفقات المعلومات الرقمية أحد أبرز أدوات النفوذ الجيوسياسي، حيث تسمح المنصات الرقمية الكبرى ومحركات البحث وشبكات التواصل الاجتماعي بإعادة ترتيب الأولويات العامة وتوجيه النقاشات السياسية عبر الحدود. فالمعلومة لم تعد عنصرا محايدا، بل تحولت إلى مورد استراتيجي يوظف لخدمة مصالح سياسية واقتصادية وثقافية محددة.

تعد السيطرة على المعلومات إحدى أبرز الإشكاليات التي فرضتها التحولات العميقة التي عرفها النظام الدولي في ظل العولمة الرقمية، حيث لم تعد القوة تختزل في أبعادها التقليدية المرتبطة بالمجالين العسكري والاقتصادي، بل أصبحت تتأسس بشكل متزايد على امتلاك المعرفة والتحكم في تدفقاتها وتوجيه بنيتها. وفي هذا السياق، برزت المعلومة باعتبارها موردا استراتيجيا عالي الحساسية، يتجاوز وظيفته الإخبارية إلى أداء أدوار سياسية وجيوسياسية ذات أثر مباشر في إعادة تشكيل موازين القوى على الصعيد الدولي.

ومن منظور سوسيولوجي، لا يمكن فهم هذه الدينامية بمعزل عن انعكاساتها على البنية الاجتماعية، إذ إن التحكم في الفضاء المعلوماتي بات يساهم في إعادة إنتاج أنماط الوعي الجمعي وتوجيه تمثيلات الأفراد والجماعات، بما يقضي إلى نشوء أشكال جديدة من الاستقطاب الرمزي والاجتماعي، وتنامي ممارسات التضليل الرقمي بوصفها آليات ناعمة للتأثير وإعادة تشكيل الإدراك الجماعي. وبذلك تتقاطع المقاربة الجيوسياسية للمعلومات مع تحليلها السوسيولوجي، في إطار جدلية معقدة تجعل من المجال الرقمي فضاء للصراع على السلطة المعرفية وإنتاج المعنى، وليس مجرد وسيط محايد لتداول البيانات.

فالمعلومات اليوم تمثل موردا استراتيجيا يتيح للدول والفاعلين الدوليين إمكان صناعة التأثير السياسي والثقافي وإعادة تشكيل التوازنات الدولية من خلال إدارة البيانات وتوجيه الخطابات الرقمية. وفي هذا السياق يؤكد كل من Katherine Mansted و Eric Rosenbach أن "السعي نحو قوة المعلومات" أصبح جزءا من الإستراتيجيات الجيوسياسية المعاصرة، وأن التحكم في المجال المعلوماتي أضحت وسيلة لتعزيز النفوذ وإدارة الصراعات الدولية في البيئة الحديثة (Rosenbach, Eric & Mansted, Katherine, 2019, pp. 7–12).

كما ترتبط السيطرة على المعلومات بتوظيف التضليل الرقمي وصناعة الاستقطاب الاجتماعي عبر نشر الأخبار المضللة والخطابات العاطفية ونظريات المؤامرة بهدف التأثير في استقرار المجتمعات وإضافة الثقة في المؤسسات الوطنية. وفي هذا الإطار يشير عبد الرحمن عزي إلى أن المجتمعات المعاصرة دخلت مرحلة "السلطة الاتصالية" التي أصبحت فيها

وسائل الإعلام والاتصال الحديثة قادرة على تشكيل الوعي الجماعي وتوجيه السلوك الاجتماعي والسياسي، بما يجعل التحكم في المعلومات شكلا من أشكال الهيمنة الرمزية داخل الفضاء الاجتماعي، خاصة في ظل التوسع الكبير للفضاءات الرقمية الحديثة. (عبد الرحمن عزي، ص 45-52).

يتبين، في ضوء ما سبق، أن السيطرة على المعلومات تمثل إحدى التحولات البنيوية في طبيعة القوة داخل النظام العالمي المعاصر، حيث انتقلت من كونها عنصرا ثانويا في الفعل السياسي إلى كونها بنية مركزية لإنتاج النفوذ وإعادة تشكيل التوازنات الجيوسياسية. وقد أضحت التحكم في تدفقات البيانات وإدارة المحتوى الرقمي وتوجيه الخطاب العام أدوات استراتيجية لإعادة صياغة المجال الدولي، بما يعكس انتقال الصراع من مستواه المادي التقليدي إلى مستوى رمزي- معرفي أكثر تعقيدا.

وعلى الصعيد السوسيولوجي، يكشف هذا التحول عن إعادة تشكيل عميقة للبنى الاجتماعية وأنماط التفاعل داخل المجتمعات، حيث تسهم ديناميات التضليل الرقمي والاستقطاب الإعلامي في تفكيك التماسك الاجتماعي وإعادة إنتاج انقسامات داخلية ذات طابع هوياتي وقيمي. ومن ثم، فإن السيطرة على المعلومات لم تعد مجرد مسألة تقنية أو إعلامية، بل أصبحت مدخلا لفهم التحولات العميقة في طبيعة السلطة والمعرفة والمجتمع في العصر الرقمي، بما يجعلها أحد المفاتيح الأساسية لتحليل الصراعات المعاصرة في أبعادها الجيوسياسية والسوسيولوجية المتداخلة.

ج- الفضاء الرقمي والحروب السياسية غير التقليدية:

أبرز الفضاء الرقمي أنماطا جديدة من الصراع الجيوسياسي، تقوم على الحروب السيبرانية، والتضليل الرقمي، وبناء السرديات الموجهة، بدل المواجهة العسكرية المباشرة. إذ تُستخدم الأخبار الكاذبة، والحملات الرقمية الممنهجة، والتلاعب بالمحتوى لتقويض الاستقرار الداخلي للدول، وإضعاف ثقة المواطنين في مؤسساتهم.

وجدير بالذكر التأكيد على أن التضليل الرقمي أصبح أداة مركزية في الصراعات المعاصرة، إذ يُستخدم لإرباك الوعي الجماعي وإعادة تشكيل الواقع بما يخدم مصالح قوة داخلية وخارجية.

وعلى هذا النحو، لا يستهدف التضليل تزوير الوقائع فحسب، بل يعمل على تفكيك المعنى وزرع الشك وتقويض الثقة في مصادر المعرفة ذاتها، ما يؤدي إلى إضعاف القدرة على التمييز بين الحقيقة والمصطنع. وضمن هذا الأفق، يتحول الفضاء الرقمي إلى ساحة صراع رمزي تدار فيها المعارك عبر السرديات المتنافسة، لا عبر المواجهة المباشرة، الأمر الذي يجعل الوعي الجماعي مجالا مفتوحا لإعادة التوجيه والتطويع وفق حسابات النفوذ والقوة.

3-2- الفضاء الرقمي والسيادة الوطنية:

لا نبالغ أبدا عندما نقول أن تصاعد النفوذ الرقمي أدى إلى بروز إشكالية السيادة الرقمية، حيث أصبحت الدول تواجه تحديات متزايدة في حماية بياناتها وبناءها التحتية المعلوماتية من الهيمنة الخارجية. فامتلاك القدرة على جمع البيانات

وتحليلها بمنح الفاعلين الدوليين قوة استباقية للتأثير في القرار السياسي والاقتصادي للدول الأخرى، "ولم يعد يخف على عاقل أن السيادة أصبحت في عصر مجتمع المعلومات مرتبطة بالقدرة على التحكم في البيانات والمنصات الرقمية باعتبارها رهانا سياسيا واستراتيجيا. (La société de l'information et la gouvernance, 2019, p132).

حيث يمكننا القول أن السيادة في عصر مجتمع المعلومات لم تعد تمارس عبر السيطرة الإقليمية أو التفوق العسكري وحده، بل أصبحت مرهونة بامتلاك المعلومة والتحكم في إنتاجها وتداولها. وبهذا المعنى أصبحت السيادة اليوم ممارسة ديناميكية تتحدد أيضا بمدى القدرة على إدارة المعرفة وضبط تدفق المعلومات.

3-3- الاستقطاب الاجتماعي كمدخل للنفوذ الجيوسياسي الرقمي:

ابتداءً، لا بد من الإشارة إلى أن الفضاء الرقمي من خلال آلياته الخوارزمية، يسهم في تعميق الاستقطاب الاجتماعي داخل المجتمعات، وهو ما يجعله مدخلاً فعالاً للتدخل الجيوسياسي غير المباشر. فالانقسامات الداخلية حين تُغذى رقمياً، تتحول إلى نقاط ضعف قابلة للاستثمار من قبل فاعلين خارجيين يسعون إلى زعزعة الاستقرار أو التأثير في القرار الوطني.

ويتأكد هذا المعنى ضمن نظرية الفقاعات التي تعيد إلى النص فهمه كل مرة خاصة عندما يتعلق الأمر بعملية التفاعل داخل الفضاء الرقمي مع محتوى انتقائي يؤدي إلى تكوين فقاعات معلوماتية تعزز الانقسام وتضعف إمكانيات التوافق الاجتماعي.

ومن نافلة القول أنه لم يعد هذا النفوذ الجيوسياسي قائماً فقط على فرص القوة أو تحقيق التفوق التقني، بل بات يعتمد على تعميق الانقسامات الداخلية داخل المجتمعات المستهدفة. يحدث هذا حين تستثمر أدوات الاتصال والمنصات الاجتماعية لإعادة تشكيل تفاعلات المجتمع على نحو يغذي الثنائيات الحادة ويقوض مساحات التوافق، ما يجعل البنية الاجتماعية أكثر قابلية للتأثير الخارجي. وضمن هذا الأفق يتحول الاستقطاب من ظاهرة اجتماعية إلى أداة جيوسياسية. مستندة إلى تفكيك الداخل بدل مواجهة الخارج.

يتضح بما سبق أن الفضاء الرقمي لم يعد مجرد مجال تقني محايد، بل غدا أداة مركزية من أدوات النفوذ الجيوسياسي في العالم المعاصر. فالصراع على المعلومات والبيانات والوعي الجماعي بات جزءاً لا يتجزأ من معادلات القوة الدولية، ما يفرض على الدول والمجتمعات تبني استراتيجيات واعية لحماية سيادتها الرقمية، وتعزيز التربية الإعلامية، وبناء وعي نقدي قادر على مقاومة التلاعب والاستقطاب في الفضاء العمومي الرقمي.

4- التربية الرقمية... خط الدفاع الاول:

4-1- التربية الرقمية وتحولات المجتمع المعاصر:

أبرز التحول الرقمي واقعاً اجتماعياً وثقافياً جديداً أعاد تشكيل أنماط التفكير والتواصل والتعلم، وهو ما جعل التربية الرقمية ضرورة ملحة وليست خياراً تربوياً ثانوياً. فالأفراد لم يعودوا مجرد متلقين للمعلومات بل فاعلين داخل فضاء مفتوح تتداخل فيه المعرفة بالتضليل، والتواصل بالتأثير، ما يفرض إعداداً تربوياً يمكنهم من التفاعل الواعي مع هذا الواقع المعقد.

وفي هذا السياق يؤكد دومينيك كاردون أن "التحول الرقمي ليس مجرد تطور تقني، بل هو تحول ثقافي ومعرفي يعيد تشكيل طرق التفكير، وأنماط التفاعل، وأشكال إنتاج المعنى داخل المجتمع". (Cardon, 2019, pp 7 - 8).

وفي السياق ذاته يمكن القول أن التحول الرقمي هو في الحقيقة أيضاً تحول ثقافي، تنظيمي، وسلوكي شامل يمس طريقة التفكير قبل أن يمس الأدوات، فهو لا يقتصر على إدخال الحواسيب أو استخدام المنصات الرقمية، وإنما يعكس إعادة بناء عميقة للمنظومات الاجتماعية والمؤسسية، حيث تتغير أنماط العمل، وأساليب اتخاذ القرار، والعلاقات بين الأفراد والمؤسسات، بل وحتى منظومة القيم المرتبطة بالزمن، والسرعة، والمعرفة، والشفافية. ويكون التحول الرقمي بهذا الشكل تحولاً في العقلية، كما يمثل نقلة في نمط التفاعل الاجتماعي من المباشر إلى المجهن والافتراضي. ولذلك فإنه بدون مبالغة مشروع مجتمعي يعيد تشكيل الانسان، والمؤسسة، وأنماط العيش في العصر الحديث.

4-2- مفهوم التربية الرقمية وأبعادها المعرفية:

تُعرف التربية الرقمية بوصفها مجموعة من المعارف والمهارات والقيم التي تمكن الفرد من الاستخدام الواعي، النقدي والأخلاقي للتقنيات الرقمية. فهي لا تقتصر على الكفاءة التقنية، بل تشمل القدرة على تحليل المحتوى، فهم السياقات، وتقييم مصادر المعلومات، بما يساهم في بناء مواطن رقمي مسؤول.

إن "التربية الرقمية تهدف إلى تمكين الفرد من فهم البيئة الرقمية والتفاعل معها بوعي نقدي، بما يحمي من مخاطر الاستلاب المعرفي والتضليل الإعلامي، ويقودنا هذا إلى التأكيد بأن التربية الرقمية عملية تربوية شاملة تهدف إلى إعداد الفرد للتعامل الواعي، الأخلاقي، والفعال مع التقنيات الرقمية، من خلال تنمية المعارف والقيم التي تمكنه من استخدام الوسائط الرقمية استخداماً رشيداً، آمناً، ومسؤولاً في مختلف مجالات الحياة.

4-3- التربية الرقمية في مواجهة التضليل المعلوماتي:

يُعد التضليل الرقمي من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، لما له من قدرة على تشويه الوعي الجماعي والتأثير في الرأي العام. وهنا تبرز التربية الرقمية كخط الدفاع الأول إذ تمكن الأفراد من التمييز بين الخبر

الصحيح والمعلومة الزائفة وتحليل الخطاب الرقمي وفهم مقاصده الخفية، ومنه فإن غياب التربية الإعلامية والرقمية يجعل الأفراد أكثر عرضة لتصديق الأخبار الكاذبة والانخراط في دوائر التضليل دون وعي.

وبناء عليه، تبرز التربية الرقمية كآلية وقائية وتكوينية أساسية لمواجهة التضليل الرقمي باعتباره أحد أخطر التحديات التي تهدد الوعي الفردي والاستقرار المجتمعي، حيث يتم نشر أخبار زائفة أو محتويات مظلمة تقدم قالب يبدو موثوقاً، مستغلة ضعف الثقافة الرقمية وقلة التفكير النقدي لدى المتلقين. وهنا لا تكفي التربية الرقمية بتعليم مهارات الاستخدام التقني، بل تعمل على ترسيخ ثقافة الثبوت والتأني قبل مشاركة المحتوى، وتعزيز الوعي بآليات التلاعب الإعلامي والخوارزمي، وبناء حس المسؤولية الأخلاقية في فضاء الرقمي. إن مهمة التربية الرقمية تكمن في تكوين مواطن رقمي واع قادر بين المعلومة الصحيحة والزائفة، وفهم السياقات التي تنتج فيها الأخبار، مما يحد من انتشار الشائعات ويسهم في حماية النسيج الاجتماعي.

4-4- التربية الرقمية وتعزيز المناعة المجتمعية ضد الاستقطاب:

تسهم التربية الرقمية في الحد من الاستقطاب الاجتماعي الناتج عن التفاعل غير النقدي مع المحتوى الرقمي، خاصة في ظل الخوارزميات التي تعزز الانغلاق داخل فقاعات معلوماتية. فالتفكير النقدي والحوار الواعي يشكلان آليتين أساسيتين لمواجهة الانقسام والتطرف الرمزي داخل الفضاء العمومي.

وفي هذا الإطار، يذهب كاس سانستين إلى أن "تعريض الأفراد لوجهات نظر متعددة وتطوير قدرتهم على النقاش النقدي، يحدّ من الميل إلى التطرف الناتج عن النقاشات المغلقة داخل المجموعات المتجانسة." (Sunstein, 2009)

وفي هذا السياق، تبرز التربية الرقمية كأداة تربوية وقائية تهدف إلى تحصين الأفراد من الوقوع في فخ الاستقطاب من خلال:

- تنمية التفكير النقدي وتحليل بما يسمح بفهم الخلفيات الأيديولوجية للمحتوى الرقمي، وعدم الانسياق وراء الخطابات العاطفية أو التحريضية.
 - تعزيز ثقافة حوار وقبول الاختلاف عبر ترسيخ قيم احترام الرأي الآخر.
 - الوعي بآليات التلاعب والخوارزميات التي تركز الاستقطاب من خلال عرض محتوى متجانس فكرياً، مما يساعد على كسر ما يعرف بـ "فقاعات الترشيح".
 - الحد من خطاب الكراهية والتطرف الرقمي من خلال التربية على المسؤولية الأخلاقية في النشر والتفاعل، وربط الحرية الرقمية بالمسؤولية الاجتماعية.
 - بناء مواطن رقمي متوازن قادر على التفاعل الواعي مع قضايا العامة دون الانزلاق إلى الانقسام أو التعصب.
- وبناء عليه تشكل التربية الرقمية خط الدفاع التربوي الأول في مواجهة الاستقطاب، لأنها تعالج جذوره المعرفية والقيمة قبل نتائج السلوكية.

4-5- التربية الرقمية والأمن الاجتماعي:

لم تعد التربية الرقمية مسألة تعليمية بحتة، بل أضحت رهانا مرتبطا بالأمن الاجتماعي والاستقرار الوطني. فالمجتمعات التي تفتقر إلى الوعي الرقمي تكون أكثر قابلية للاختراق الثقافي والتأثير الخارجي، وهو ما يجعل التربية الرقمية جزءًا من استراتيجيات الوقاية المجتمعية.

وعليه يمكن القول أن التربية الرقمية تمثل أداة استراتيجية لضمان الأمن الاجتماعي لأنها تعمل على ضبط السلوك الرقمي للأفراد وتوجيهه بما يخدم استقرار المجتمع وتماسكه. ويكون ذلك من خلال ترسيخ مفهوم المواطنة الرقمية بما يعزز الانتماء والمسؤولية الاجتماعية، ويشجع على المشاركة الإيجابية والواعية في القضايا المجتمعية عبر الوسائط الرقمية، وتعزيز التماسك الاجتماعي عبر توظيف التكنولوجيا في تقوية الروابط الاجتماعية بدل تفكيكها.

ويجمع الخبراء أن "التربية الرقمية تمثل اليوم أحد أعمدة الحوكمة الحديثة، باعتبارها أداة أساسية لحماية المجتمع من الانزلاق نحو الفوضى المعلوماتية". (La société de l'information et la gouvernance 2019, p 158).

وبناءً عليه نجزم أنه أمام كل هذه التحديات التي تفرزها التكنولوجيا كل وقت وحين، يتضح أن التربية الرقمية تشكل خط الدفاع الأول في مواجهة التحديات التي يفرضها الفضاء الرقمي، من تضليل واستقطاب واختراق ثقافي. فهي ليست مجرد اكتساب مهارات تقنية، بل مشروع تربوي شامل يهدف إلى بناء وعي نقدي وتعزيز المسؤولية الفردية والجماعية، وحماية الفضاء العمومي من الانقسام والتلاعب. ومن ثم فإن إدماج التربية الرقمية في السياسات التعليمية والثقافية يمثل ضرورة استراتيجية لضمان توازن المجتمع واستقراره في العصر الرقمي.

5- من أجداد التحرير إلى تحديات العصر الرقمي: الجزائر في مواجهة المستقبل:

يشكل التحول الرقمي في الجزائر أحد أبرز الرهانات الدولية في السنوات الأخيرة، حيث تعمل السلطات العمومية على تسريع رقمنة القطاعات الإدارية والاقتصادية والخدمات، في إطار تعزيز السيادة الرقمية الوطنية وحماية الأمن السيبراني (وزارة الدفاع الوطني الجزائرية 2025-2029). وقد تجسّد ذلك من خلال الاستراتيجية الوطنية لأمن الأنظمة المعلوماتية 2025-2029 التي نشرتها وكالة أمن الأنظمة المعلوماتية التابعة لوزارة الدفاع الوطني، باعتبارها إطاراً وطنياً لحماية البنية التحتية الرقمية وتأمين الفضاء السيبراني الوطني. (الإذاعة الجزائرية).

كما اعتمدت الجزائر برنامج الهوية الرقمية والتوقيع الإلكتروني (e-Tawki3) بهدف تأمين المعاملات الإلكترونية والخدمات الرقمية وتعزيز الثقة في البيئة الرقمية الوطنية (وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، 2025).

وفي سياق تعزيز السيادة الرقمية، عملت الدولة على تطوير مشروع مراكز البيانات الوطنية وتوسيع البنية التحتية الرقمية، بما يسمح بحماية المعطيات الوطنية وتقليل التبعية التكنولوجية الخارجية، خاصة مع تزايد التهديدات السيبرانية والهجمات المعلوماتية (صحيفة Horizons الجزائرية، 2025)، كما عززت الجزائر دور الخلايا المختصة في مكافحة الجرائم الإلكترونية التابعة للأمن الوطني والدرك الوطني، والتي تعمل على رصد الهجمات السيبرانية وتحليل المحتويات المضللة ومكافحة الأخبار الكاذبة عبر شبكات التواصل الاجتماعي (حوليات الأمن السيبراني في الجزائر، 2026).

ومن بين المبادرات ذات البعد الإعلامي والتوعوي، برزت برامج التحقق من الأخبار (Fact-Checking) التي تهدف إلى مكافحة التضليل الرقمي والأخبار الزائفة، خاصة في ظل ما يعرف بحروب السرديات الرقمية، وذلك من خلال دعم المحتوى الوطني الهادف ونشر ثقافة التثبت من المعلومات داخل المجتمع (الإذاعة الجزائرية، 2026).

وفي الإطار الإقليمي والدولي، شاركت الجزائر في عدة منديات ومبادرات متعلقة بالأمن السيبراني، من بينها التعاون الإفريقي في مجال مكافحة التضليل الرقمي وتعزيز حماية الفضاء الإلكتروني، إضافة إلى الدعوة لبناء مقاربة إفريقية مشتركة للأمن السيبراني والسيادة الرقمية (الإذاعة الجزائرية، 2025).

تعد هذه البرامج والمبادرات والاستراتيجيات المتعددة في مجال الأمن السيبراني والتحول الرقمي تعبيرا واضحا عن إدراك الدولة الجزائرية لطبيعة التحولات العميقة التي يشهدها العالم اليوم، وما تحمله من فرص وتحديات في آن واحد. فهي لا تعكس فقط إرادة في تحديث الإدارة وتطوير البنية الرقمية، بل تؤكد أيضا وعيا مؤسسيا متقدما بمخاطر العصر الرقمي، خاصة ما يتعلق بالتهديدات السيبرانية، والتضليل الإعلامي، ومحاولات المساس بالاستقرار المجتمعي والسيادة الوطنية. ومن هذا المنطلق، تبدو هذه الجهود بمثابة خيار استراتيجي واع يهدف إلى بناء دولة رقمية قوية وآمنة، قادرة على حماية معطياتها، وصون أمنها الوطني، ومواكبة التحولات التكنولوجية بثقة وثبات. وفي خضم التحولات الرقمية المتسارعة، تدرك الجزائر أن معركة اليوم لم تعد تخاض فقط على الحدود، بل أصبحت تخاض أيضا داخل الفضاء الرقمي، حيث تستهدف حملات التضليل و"حروب السرديات" وعي الشعوب ووحدة الأوطان. ومن هذا المنطلق، تواصل الدولة الجزائرية تعزيز قدراتها السيبرانية بثبات وإدارة قوية، حماية لأمنها الوطني وصونا لسيادتها الرقمية ووفاء لتاريخها النضالي العريق. فالجزائر التي انتصرت بالأمس في معركة التحرير، قادرة اليوم على كسب رهانات الأمن الرقمي بفضل مؤسساتها وكفاءتها وشبابها الواعي. ويبقى التماسك الوطني والوعي الجماعي خط الدفاع الأول في مواجهة كل محاولات التشويه والتفكيك، لتظل الجزائر قوية، آمنة، وراسخة في وجه كل التحديات.

الخلاصة:

لم يعد التضليل الرقمي مجرد انحراف في مسار تداول المعلومات بل تحول إلى أداة بنوية لإعادة هندسة الإدراك الجمعي وصياغة الواقع الرمزي داخل المجتمعات. فبفضل اقتصاد الانتباه، وتضخيم المحتوى المثير، وآليات الاستهداف الخوارزمي، تتشكل بنى رقمية مغلقة تعيد إنتاج القناعات وتغذي الاستقطاب، بما يسمح بظهور أنماط من الاستبداد الاجتماعي غير المرئي، يقوم على الضغط الرمزي، والإقصاء المعنوي، وصناعة الإجماع الوهمي خارج الأطر المؤسسية الشرعية. وتكمن خطورة هذا المسار في كونه يزعم مرتكزات الثقة العامة، ويضعف المرجعيات المشتركة، ويحوّل الاختلاف الطبيعي إلى انقسام وجدي، الأمر الذي يؤدي إلى هشاشة في التماسك الوطني ويعرض الأمن المجتمعي لاختلالات عميقة.

إن أمن الأوطان في العصر الرقمي لم يعد رهين حماية الحدود الجغرافية فحسب، بل أصبح مرتبطا بحماية الفضاء المعرفي والرمزي من الاختراق والتلاعب، وبناء سيادة رقمية قادرة على ضبط التوازن بين حرية التعبير ومسؤولية الحفاظ على السلم الاجتماعي. ومن ثمّ، فإن مواجهة التضليل الرقمي تستوجب مقاربة شمولية متكامل فيها التربية الإعلامية، وتنمية التفكير النقدي، وترسيخ القيم الجامعة، وتطوير سياسات اتصال عمومي شفافة، بما يعزز المناعة المجتمعية ويحصن الوعي ضد محاولات التفكيك والتشكيك.

واستشرافا لأفق التحولات الرقمية والاجتماعية المقبلة، فإن المجتمعات التي تتخلف عن بناء منظومات حماية معرفية وقيمية متماسكة ستظل عرضة لانزلاقات دقيقة ومعقدة في ميادين الصراع الإدراكي والصراعات الرمزية العابرة للحدود. فالمخاطر الناشئة لم تعد تتجلى في صدامات صاخبة وواضحة، بل تتسلل عبر سرديات دقيقة وبطيئة التراكم، تعيد ترتيب الأولويات، وتعيد تشكيل الدلالات وتؤثر في الوعي الجمعي على نحو تدريجي، بما يفضي إلى إعادة تشكيل تصورات الواقع ذاته. ومن هذا المنظور، فإن الرهان الاستراتيجي لا يقتصر على مجرد ملاحقة المحتوى المضلل أو التصدي للخطاب الزائف، بل يشمل ترسيخ ثقافة وعي نقدي مستدام، تعيد تموضع المواطن بوصفه فاعلا معرفيا يقصا، وتكرّس الدولة كضمان للثقة والشفافية والاتصال العمومي الرشيد. وهكذا، يتحول مفهوم الأمن الوطني من حدود مادية صلبة إلى حماية شاملة للفضاء الرمزي والمعرفي، في عالم تتشابك فيه السيادة السيبرانية، وتتقاطع فيه الجغرافيا المكانية مع الجغرافيا الرقمية، ليصبح صون القيم والوعي الجمعي ركيزة لا غنى عنها في صيانة استقرار الأوطان.

قائمة المراجع

- 1-الحازمي محمد، 2021، دور الاعلام الرقمي في التواصل الاجتماعي واعادة تشكيل وجهات النظر، مجلة كلية التربية، جامعة جدة، السعودية.
- 2-شادلي عبد الحق، 2024، التنشئة الرقمية: نحو فهم تأثير التحول الرقمي على القيم والمهارات الاجتماعية، المجلة العلمية للتكنولوجيا وعلوم الإعاقة، دار النهضة العلمية، القاهرة، مصر.
- 3- مراد غسان، 2022، مزايا التحولات الرقمية والتمثيلات الذهنية للذكاء الاصطناعي، لبنان.
- 4-بعزيز إبراهيم، 2015، التضليل الاعلامي: كيف يقوم الاعلام بتسطيح ثقافة الجماهير وتغييب الوعي، دار الكتاب الحديث، القاهرة.
- 5-أبو عرجة تيسير أحمد، 2025، التضليل الإعلامي في عصر الذكاء الاصطناعي والاتصال الرقمي، وزارة الثقافة الأردنية، عمان.
- 6- حساين دواجي ، غالي ، مغربي، 2020 ، التواصل وآليات التضليل عند فيليب بروتون ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، 12 (02)
- 7-محمد شومان 2016 ، الإعلام، الهيمنة الناعمة وبدائل المواجهة، دار الجمهورية للصحافة ، مصر
- 8- سفيان تومي ، رايح ذياب 2022 الأخبار الزائفة على مواقع التواصل الاجتماعي وخوارزميات الكشف، مجلة آفاق للبحوث والدراسات ، 05 (02):
- 9- عبد الرحمن عزي، المجتمع والمعلومة: دراسة في سوسيولوجيا الاتصال ، الدار العربية للعلوم ناشرين، بيروت.
- 10- (وزارة الدفاع الوطني الجزائرية، الاستراتيجية الوطنية لأمن الأنظمة المعلوماتية 2025-2029).
- 11- الإذاعة الجزائرية، "الجزائر تعتمد استراتيجية وطنية لتعزيز الأمن السيبراني" 2026
- 12- حوليات الأمن السيبراني في الجزائر ، " دور الخلايا المختصة في مكافحة الجرائم الإلكترونية والتضليل الرقمي"، 2026
- 13- صحيفة Horizons الجزائرية، " التحول الرقمي في الجزائر : رهانات السيادة والأمن السيبراني " 2025
- 14- وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ، برنامج التحول الرقمي والهوية الرقمية في الجزائر 2025
- 16- (الإذاعة الجزائرية)
- 17- (وزارة الدفاع الوطني الجزائرية، الاستراتيجية الوطنية لأمن الأنظمة المعلوماتية 2025-2029).
- 18-Tufekci, Zeynep.2017, Twitter and Tear Gas: The Power and Fragility of Networked Protest,Yale University Press, New CT.
- 19-Pariser Eli, 2011, The Filter Bubble: what the Internet is hiding from you, Penguin Press, New York, USA.
- 20-Favry Olivier, 2025, La désinformation : entre fake news, propagande et autres : comment se repérer et lutter contre elle Editions Ellipses, Paris,France.

- 21-Foucart Stéphane, 2020, Les Gardiens de la raison : Enquête sur la désinformation scientifique. La Découverte, Paris, France.
- 22-Sunstein Cass, R; 2009.Going to Extremes: How Like Minds Unite and Divide,Oxford University Press,United States.
- 23-Cardon Dominique, (2019), Culture Numérique, Presses de Sciences Po,France.
- 24-Nye Joseph, S,Jr2011,The Future Of Power. Public Affairs, United States.
- 25-La société de l'information et la gouvernance, 2019 Paris : presses universitaire de France, France.
- 26-Castells Manuel, (2009), Communication Power, Oxford University Press.
- 27- Sunstein Cass R (2009), Going to Extremes: How Like Minds Unite and Divide Oxford University Press, United States.
- 28-Marc. S et Rik,p. (2021) the Algorithmic Society,Technology,Power,and Knowledge.United Kingdom,Routledge
- 29- Rosenbach, Eric & Mansted, Katherine, The Geopolitics of Information, Belfer Center for Science and International Affairs, Harvard Kennedy School, 2019.